تقنية النافذة في نماذج من الرواية العراقية المعاصرة

أ.م.د مشتاق فالح عبيد م.م.غسان نجم عبد الله

المقدمة: تأتي هذه المحاولة في إطار فحص الرواية العراقية مابعد الحداثية ومدى تأثرها في طبيعة الحدث التقني الذي المّ بواقع الحياة برمتها، وتنطلق رؤية الباحثين من تعقب عدد من الروايات التي تناولت ثيمة الانترنت وبناء الحدث السري النامي في مجال التنكنلوجيا، لتنتج لنا سروداً جديدة ربما تقترب مما يعرف من بـ (الرواية الجديدة)، أو كما يطلق عليها بعض الدراسين (الرواية الفرنسية). لقد رصد الباحثان عينات في مدة زمنية حصرت ما بين ٢٠٠٠-٢٠١٥ وتم التركيز على روايات أثارت العديد من التساؤلات النقدية من دون أن تهمل سؤال الإنسان، أو الوجود، كما يصفه المختصون في النقد الروائي، ولذا كانت عينات هذا البحث هي نماذج تتوافر فيها ما اصطلح الباحثان عليه بـ (تقنية النافذة) والتي ربما تكون في أطار التجريب أو من الممكن تقديمها على أنها مقترح كتابي.ومن الروايات التي حاولت هذه الدراسة استهدافها هي روايات: (فيرجوالية) و (تحت سماء كوبنهاكن) و(صفر واحد) و (لعنة ماركيز) و (الصندوق الأسود)، وقد توخت الدراسة الاختصار الا بقدر ما يكون التفصيل موضع إفادة وإيضاح، غير محددة بمنهج نقدي الا ما أتاحته نظريات القراءة في منح المرونة الكافية للقارئ لاستنتاج ما يمكن أن يستنتج من هذه النصوص المشبعة بالتجارب الجديدة.

المطلب الأول: تقنية النافذة: لعل ما يميز حقل الرواية عن غيره من الحقول الأدبية هو القدرة على مواكبة فلسفات العصر وتقبلها بشكل مباشر وسريع على نحو يجعلها الفن الأكثر حداثة وأكثر قدرة على الانتشار من الفنون الأخرى مع احتفاظها بهويتها النوعية أو اكتسابها سمات نوعية جديدة سريعا ما تكون جزءاً من جسدها القابل للتجدد عبر القبول والرفض لما يناسب اشتراطات المرحلة التي يقترحها الفكر، وهنا تكمن القدرة على الابتكار من خلال إنتاج سرود جديدة تتسم بالقدرة على التواصل والتفسير بين المبدع والقارئ.[١]

إن الحديث عن التنافذ – بصفته مقترحا كتابيا – يقودنا إلى الحديث عن طبيعة الأنساق السردية للوقوف على العناصر النوعية التي تميزه – أي التنافذ – عنها.

لقد حصر الناقد (تزفتان تودوروف) السرد بثلاثة أنساق هي:

١- التتابع
٢- التضمين
٣- التناوب[٢]

يعرف الدارسون التتابع بأنه من أبسط أنواع السرد إذ يقوم فيه الراوي بذكر أحداث حصلت قبل زمن السرد[٣] وينسجها بشكل متتابع جزءاً بعد جزء، على أن يكون بين هذه الأجزاء شئ من قصة أخرى، لذا نجد هذا النسق من أكثر الأنساق التي تعتمد عليها الحكاية[٤]

أما نسق التضمين فيقوم على أساس نشوء قصص قصيرة في أطار قصة طويلة واحدة، ويذكر الناقد الدكتور شجاع العاني قصص (ألف ليلة وليلة) أنموذجاً لهذا النسق[٥].

أما نسق التناوب فهو أعقد الأنساق وأحدثها إذ يعد النسق الأوثق كونه قد قطع الصلة بالحكي الشفوي[٦]ويقوم على سرد أجزاء من قصة ثم أجزاء من قصة أخرى في جسد الرواية، ويرى الدكتور شجاع العاني أن هذا النسق قد دخل الرواية بفعل تأثرها بالسينما وتقنياتها[٧].

أن التحولات التي طالت رواية ما بعد الحداثة قد جعلتها نسجاً كتابياً معقداً يستند في علاقاته السردية إلى الأنساق الثلاثة آنفة الذكر، وقد يجتمع نسقان في الرواية الواحدة أما على صعيد تقسم السرد من حيث الزمن فهو كما يأتي:

١- السرد التابع: هو نمط سردي تقليدي يقوم على الحكي في زمن الماضي.
٢- السرد المتقدم: هو سرد استطلاعي يقوم على المستقبل.
٣- السرد الآني: وهو السرد في الحاضر.
٤- السرد المدّرج: وهو النوع الأكثر تعقيداً إذ ينبثق من أطراف عدة ويظهر مثلا في الرواية القائمة على تبادل رسائل بين شخصيات مختلفة تكون الرسالة في الوقت نفسه وسيطا للسرد وعنصرا في العقدة[٨]. إن نمط الزمن السردي المدّرج يتماس وبشكل واضح مع ما طرحة (ماكلوهان) في نظريته (الحتم التكنلوجي) بوصف أن الوسيط سيصبح قيمة أنجازية في عملية الإرسال، الأمر الذي يقرب بحثنا من النماذج المختارة للدراسة إذ تتكشف الطبيعة النوعية للخطاب الروائي من خلال السمات النظرية آنفة الذكر، وعلى هذا يمكننا القول إن السرد في نماذجنا التي تعتمد تقنية (النافذة) تستند -من حيث الزمن السردي- إلى النمط الأخير (المدّرج) وتعتمد في طبيعتها المشهدية السردية على الأنساق الثلاثة (التتابع، التضمين، التناوب) .لقد ألقت تقنيات الانترنت بظلالها على العملية الإبداعية برمتها فتداخلت بالنسيج الروائي تداخلا خَلقَ أنماطاً جديدةً من الرواية على صعيد التقديم

والعرض والشخوص وبنائها والزمان والمكان وطبيعتهما، فهي خطوة تقنية متقدمة سحبت أطوع الأجناس الأدبية لها بفعل التأثر والتأثير، إذ يرى الناقد سعيد يقطين أن مرتكزات التفكير العربي على وفق ما يمكن أن يتم انجازه هي دخول العصر الالكتروني أو ما يسمى عصر المعلومات، ووجود حركة تأثر وتأثير في محيط ثقافات أخرى[٩].

تتأسس على ذلك قدرة الجنس الروائي على احتوائه طبيعة تقنيات الانترنت على صعيد الثيم والفكر والتقنية.تتصدر رواية (فيرجوالية) للروائي سعد سعيد مجال الإفادة من وسائل الاتصال المتمثلة في الحاسوب والشبكة العنكبوتية، إذ تدور أحداثها بين روائي يدعى (أنس حلمي) وفايروسه المتمرد الموسوم (SSR 2981957-TS) الذي يهدده بنشر قصص غرامه التي كان يمارسها عن طريق الفيس بوك من خلال استعراض البطل القصص كلها عبر متوالية سردية نكتشف حركة تأثرها من خلال تقنية يقترح الباحث تسميتها (تقنية النافذة أو التنافذ) التي سنلحظها باكثر من عمل روائي عراقي وعلى صعد مختلفة، بيد أنها في رواية (فيرجوالية) واضحة جلية وسنأتي على تفاصيلها.منذ الوهلة الأولى في مدخل سير الرواية ندرك أن الرواية تقوم على الحدث السريع أذ لا وصف في هذه الرواية لإشكال هندسية أومعالم ولا حتى رسم للشخصيات الا من خلال تمثيلات الحوار وهي تقنية مسرحية.تبدأ الرواية في حوار مباغت بين البطل والفايروس بسؤال يثير فضول القارئ من خلال الحوارية الآتية:

- من تكون ؟!
بل ما تكون ؟!
- أنا وحدة SSR 2981957-TS[١٠]

بعدها تستمر متوالية الأسئلة السريعة والمثيرة لفضول القارئ، لنكتشف سريعاً انه حوار بين البطل والفايروس المتمرد، الذي يبدأ بعرض قصص البطل بدءاً من (روح هائمة) في الصفحة (١٨) وهي حكاية تعارف بين البطل

واحدى حبيباته، يستمر هذا الإيقاع السردي بنسج الأحداث بشكل سريع يقوم على التنافذ من خلال فتح نوافذ كل قصة، أو القطع السريع في قصة ما ثم العودة إلى قصة أخرى تقدم من خلال زمن قراءة واحد على الرغم أن أحداث كل قصة تقع في زمن مختلف وربما تتزامن بعض القصص في زمن قراءة واحد.

أن دخول السرد بهذه السرعة وطريقة انفتاحه على قصص مختلفة ومتنوعة من خلال التقافز (من و إلى) الاحداث عبر وحدات قصصية منفصلة تكاد تعلن كل واحدة منها عن بنية قارة سرديا (حدثا وشخوصا وفضاءً) مستقلة عن نظيرتها أمر يقربنا من الحدث العلمي في عالم الكمبيوتر عبر انظمة التشغيل الحديثة (Windows) فأنظمة الحواسيب تمكن المستخدم من الدخول (من و إلى) الملفات عبر نوافذ رقمية تعمل على وفق متواليات رياضية تبنى على الارقام الثنائية، وهذا ما تأثرت به بعض نماذج الرواية العراقية مثل أعمال حوراء النداوي في رواية (تحت سماء كوبنهاكن) و مرتضى كزار في رواية (صفر واحد) و ضياء الجبيلي في رواية (لعنة ماركيز) وكليزار أنور في رواية (الصندوق الأسود).لقد بدأ البحث في (فيرجوالية) لأنها عمل يتهيكل كلياً عبر الإفادة من تقنيات الانترنت والحاسوب، فالشخصيات هيمحض قصص رقمية لها اصداء اجتماعية واقعية، وفكرة الدخول إلى عالمهم وربط قصصهم تتم عبر التنافذ بين القص، فما أن يتم التعارف في قصة (روح هائمة) على (صبا) حتى ينتقل السرد مسرعا إلى (ميساء سليم) في الصفحة ٢٢ ثم يختم القصة عند صفحة ٣١ ليتنافذ مع (روح هائمة) فيستكمل سير الإحداث في (صبا) كما في النص الاتي:

- كنت أتأمل في صورك.
- فما رايت ؟
- أه ما أجمل ابتسامة عينيك الدافقة بحنو غامر.
- وبعد!!!

- شارباك.
- ما بهما؟
- يجسدان رجولة حقيقية
عارمة وطاغية.
- هههههههه
للمرة الثانية تذكرين شاربي
مالك ولهما؟![11]

ثم يستمر السرد والقطع والدخول بقصة جديدة ثم القطع والعودة الى القصة الأولى ثم القطع والدخول بقصة جديدة لاتمت إلى سابقتيها بشئ أشبه بفكرة النافذ بين نظام الحواسيب من خلال الدخول إلى ملفات متعددة لم يتم انجازها ولا تكتمل إلا بمؤازرة ملفات أخرى، على سبيل المثال في برامج المونتاج يحتاج المونتير إلى أكثر من برنامج لانجاز عمل وصلة فيديو تتسم بالصورة والموسيقى والحركة الفلمية ولذلك يحتاج القدرة إلى الخروج والدخول عبر نوافذ مصممة لانجاز عمل واحد كأن يكون تقريراً حول مدينة معينة، وهذا ما نلحظه في الرواية العراقية من خلال تأثرها بتقنية (التنافذ) التي مازالت قيد التجريب ومن الممكن تقديمها بوصفها مقترحاً كتابياً للرواية للإفادة منه بشكل عام.أما في رواية (صفر واحد) للروائي مرتضى كزار فتتمظهر تقنية التنافذ من خلال صراع رقمي تأريخي يوتيوبي لكنه متوقع الحصول بسبب التطور التقني الذي جعل (اللا متوقع) أمراً وارد الوقوع وربما هذا هو ما رشح لدى كاتبها أن يسمها بعنوان آخر هو أسم ظل للعنوان الرئيس إذ أسماها (كمبيوتوبيا) محاولا المزج بينا مصطلحي (كمبيوتر) الحاسوب و (اليوتوبيا) العالم المثالي.

يثير العنوان في رواية مرتضى كزار مفارقة كبيرة تمنح الباحث فرصة فك الشفرة المهمة في الدخول إلى حيثيات الرواية، فـ (صفر واحد) هي طبيعة النظام الرقمي الذي تعمل على وقفه الحواسيب من خلال تحويل نظام الاعداد

العشرية إلى نظام الأعداد الثنائية التي ما إن ننفصل عنها حتى نعرف أن طبيعة الصراع في الرواية تؤدي إلى نزاع فرقتين، كل واحدة منهما تحمل آيدولوجيا مختلفة عن الأخرى الفرقة الأولى تنتمي إلى معاوية ابن أبي سفيان مقابل الفرقة التي تنتمي إلىالإمام علي ابن أبي طالب (ع)، إذ تبدأ الفرقة الأولى بالهجوم على الفرقة الثانية من خلال فايروس يعاد تأهيله عبر استنطاق التأريخ وسحبه إلى الحاضر لكن الفرقة الثانية تتصدى له على وفق استخدام الآلية التاريخية نفسها وتكون النتيجة لصالح الفرقة الثانية، وبهذا يمكن قراءة العنوان الرقمي (صفر واحد) بطريقة المباريات والتنافسات، أي صفر للفرقة الأولى وواحد للفرقة الثانية .يمنحنا التنافذ في هذه الرواية إمكانية الدخول والخروج الى المنظومة التاريخية بسرعة رقمية تختصر المؤلفات والكتب وعلى هذا يختلف التنافذ نسبيا عن رواية فيرجوالية، اذ أن التنافذ هنا أشبه بآلة الزمن التي تعمل عبر بوابات تنفذ بنا بوصفنا قراءً من التاريخ إلى الحاضر والعكس صحيح، يقول البطل في معرض توصيفه للفيروس الذي أصاب حاسبته:(قال...إنه فايروس تأريخي مؤدلج وهو موجه بالتأكيد، ولم يسبق أن سمعت بشئ يشبهه، إنه نظام كامل يفرغ نفسه في جسم الحاسوب المضيف ..

- أي تأريخ وأي مضيف ..؟ (قالها صلاح بإتزان)
- قال السيد أيوب وهو يمسح جبين شاشته بأصبعيه: ألا .. ترى هذه العبارة (omeyah)؟

تمتمت بها شفتانا مرتان، وثلاثة ﴿كذا﴾ .. سيد ماذا تعني، كاد صلاح أن يمج دماغه وهو يحاول عبثاً بهذه اللحظة أن يجد تفسيراً للكلمة، السيد أيوب توقف لبرهة، تلفظها.. ثم قال: أوومية).[١٢]يمضي الكاتب في تنافذه الحاسوبي عبر صراع تاريخي يستعيده في تقنيات الحاسوب فيوصّف فايروسه توصيفاً يكسبه حداثة تقنية وعمقا سحيقا أيديولوجيا في التاريخ :(أمية عبد رومي قذفته أكتاف الريح وفلتات الموج إلى شواطئ الجزيرة العربية داخل وصلات تكنورحمية)[١٣]إن التوليف التاريخي التقني في رواية (صفر واحد)

منحها سمة التنافذ الحر لتمرير فكرة الكاتب التي تتجه نحو رغبته في اعادة الصراع القديم الجديد من خلال زخم التقنية الحديثة فاستدعى التأريخ بصراعه وتناطحه ودسه عبر فايروس عنيد يحاول البطل ترويضه من خلال الإستعانة بمجموعة من الأصدقاء.

لقد أدت النافذة دوراً مهماً وحيوياً في سرد راوية (صفر واحد) من خلال اجتماع زمنين يمتنع لقاؤها على أرض الواقع، فالتاريخ بكل صراعه يتجسد بهجوم فايروس أمية، ذلك الاسم الذي له في العرف الثقافي والتاريخ الديني دلالة خاصة، بيد أن هذا الإستدعاء تمظهر في السرد من خلال الدخول الى جسد الفايروس ومحاولة تشخيص نقاط ضعفه، ثم الخروج خارجه للتصدي له، وعلى الرغم من وجوب طرح الروائي أسئلته ومقترحاته بحياد من خلال تقنيات السرد، إلا أن الكاتب لم يكن محايدا وسيطرت على سرده الآيديولوجيا ذات المرجعية الدينية لكن هذا لا يمنع أن الرواية دخلت حيز التجريب والبحث من أجل شكل روائي جديد يتسق و مقتضيات العصر، ومما يؤشر عليها أنها وقعت في هفوات نحوية واضحة.إن التنافذ في رواية صفر واحد جعل النسيج السردي يتسلل الى التاريخ عبر نافذة التنقيات التي انجبتها الحداثة الآلية، وبهذا نحن أمام نمط جديد من السرد يستدعي مراجعة وتأملاً ليكون مقترحا كتابيا مبتكراً.أما رواية (تحت سماء كوبنهاجن) لحوراء النداوي فقد تجاوزت الكثير من المطبات الآيديولوجية وراحت تبحث عن مكان لها في عالم الجنس الروائي لتؤمن شروطها واقتراحاتها السردية.عالجت النداوي موضوعة النافذة بطريقة لا تجعل القارئ يحس بالهجنة التي نلحظها في روايتي (فيرجوالية) و(صفر واحد)، إذ لا يغيب عنا ونحن نتابع سير الأحداث سؤال الحدث الروائي ومقتضيات معالجاته، ذلك الحدث الذي ينمو ببطئ وسرعان ما يسحبنا بفعل السرد المحكم إلى دائرة التشويق.يبدأ السرد من خلال نافذة ماسنجر يطرحها البطل (رافد) وهو يراجع رسالة (هدى) الشابة المراهقة التي تقع في حبه، إذ لا ينكشف المغزى الروائي من خلال إجراءات السرد

وانتقالاته والتواءاته الا بعد زمنٍ ليس بالقصير من خلال تعقب الاحداث التي تبدأ في (نافذة ماسنجر) يقول البطل في أول الرواية: (فكيف عَلِمت هي عني ما خفي لتستغله مشرعة الأبواب في وجهي داعية إياي دعوة سافرة إليها هي تبوح لي دون أدنى قلق مني، أثار بوحها غرور رجولتي حتى نال غروري كفايته ثم فاض عني وبللني. وفيما أنا أتململ من قشعريرة غروري ورطوبته الملتصقة بي، أجدني قد دفعت ثمناً باهظاً من وقتي، وأعصابي، ومشاعري. برسالتها الأولى التي حطت في بريدي الألكتروني استباحت أيامي)[١٤]

تحاول البطلة هدى المراهقة أن تجد طريقةً للتقرب من رافد البطل الاربعيني، اذ يجيب على طلبها من خلال الماسنجر والبريد الاليكتروني بما يأتي:

عزيزتي هدى.

أولاً أنتِ لم تُعرّفيني بنفسك.

ثانياً رسالتك قصيرة جداً لم أفهم منها مطلبك تماماً.

ثالثا أنا لم أعد أمتهن الترجمة منذ زمن، ولعل رسالتك لم تكن موجهة لي من الأساس فيا حبذا لو تأكدتِ من المرسَل إليه.

على العموم إن كان ما تطلبين في نطاق قدرتي، فإني أعدك بأني سأفعل ما بوسعي لمساعدتك

رافد[١٥]

يبدأ التنافذ السردي من خلال حوارات ماسنجرية وإيميلات تتوالى بين البطلين، ثم سرعان ما تتحول المراسلات إلى حوارات مباشرة عبر نافذة الماسنجر بدءاً من حوار الماسنجر في الصفحة رقم ١٢-١٣ من الرواية وحتى استمرارها وتجلي طبيعة أحداثها إذ ينمو الحدث في الرواية من خلال نافذة الماسنجر بيد أن قوة السرد في رواية تحت سماء كوبنهاغن تطغى على طبيعة التقنية الحديثة إلى درجة عدم الإحساس بها.أن ما يميز رواية (تحت سماء كوبنهاغن) عن روايتي (فيرجوالية) لسعد سعيد ورواية (صفر واحد) لمرتضى

كزار، أن الأخيرتين كانتا تسعيان لأنسنة التقنية ومحاولة زجها في صراع الإنسان الفردي والجماعي بينما تمتاز (كوبنهاغن) بأنها رواية واقعية تنمو داخل مجال التقنية.

إن تقنية النافذة التي تحاول هذه الدراسة رصد أبعادها وبيان طبيعتها النوعية تختلف على وفق طبيعة التناول الروائي ومعالجاته، إذ منحت التقنية المستعملة المرونة الكافية لاختيار الروائي الثيمات المناسبة، بيد أن ما يمكن ملاحظة وتأثيره أن هذه التقنيات السردية غيرت الطبيعة النوعية للعلاقات الاجتماعية، لكن ما يعنينا هنا أن التنافذ مكن الرواية من دينامية الاتصال وغير طبيعتها النوعية فقدم مقترحات تجريبية جديدة توائم القفزات التكنلوجية التي يشهدها العصر.يحقق التنافذ في راوية النداوي مزاوجة بين الحوارين (الخارجي والداخلي) من خلال حوار البطل مع البطلة عبر الماسنجر (الحوار الخارجي) ليقترن حواران خارجيان الأول مع البطلة عبر الماسنجر (النافذة) والثاني حوار البطل الخارجي بصفته راويا للحدث، وهنا تمكننا النافذة من توسيع دائرة الحوار بوصف أن الأول حوار بطريقة تمنح التنافذ حيوية ورشاقة سردية أكثر كما في النص اللآتي:

(- مرحباً.

كأنها سهمت قبل أن ترد:

- مرحباً .. أنت موجود .. هذا رائع
- وترددتُ قبل أن أكتب:
- لم تردّي على رسالتي كنت سألت إن كنتِ متأكدة من أن المقصود بالرسالة هو أنا؟

ولا أدري لمَ كان يخيل إلي أنها تسهم شيئا ما في كل مرة قبل أن تجيب)[١٦]

يبدأ الحوار في الماسنجر بـ (مرحبا) وينتهي (من أن المقصود بالرسالة هو أنا؟) ثم يتلو الحوار في الماسنجر منلوج خارجي يبدأ بجملة (ولا أدري لمَ يخيل

إليّ أنها ... الخ).إن هذا النوع من التوليف بين الحوارات الخارجية سمة يؤشرها البحث كثيراً في الروايات التي تناولت ثيمات الانترنت واعتمدت تقنياته، إذ يجتمع الحوار المكتوب مع الحوار الشفاهي، أو الحوار الماسنجري والحوار اللساني المنطوق، وهو تنميط جديد تسعى الرواية إلى توطينه في نسيجها المعاصر الذي ما انفك عن البحث في كل ما هو حديث للارتقاء بقدرة الرواية على تقبل الهجنة بما لا يجعلها نشازاً أو تكويناً مشوهاً.

يختلف التنافذ في رواية (لعنة ماركيز) للروائي ضياء الجبيلي، إذ يبدأ الحدث السردي مع شاب ينبش بقايا الأوراق والطرود البريدية المتناثرة بعد الحرب التي وقعت عام ٢٠٠٣ ويعثر بالصدفة على طرد بريدي فيه رسالة تحتوي على رواية موجهة إلى شخص يدعى فائز مع عنوانه، يحاول موظف البريد أن يوصل الطرد إلى العنوان ليكتشف أن فائزا قد مات وراح أخوه الأصغر يقص القصة على الموظف، ثم سرعان ما نلج السرد عبرة نافذة ماسنجر التي يتوئمها الكتاب مع تقنية الإسترجاع كما في النص الآتي:

(أخبرني أخوه الأصغر أنني أول صديق له يزورهم بعد وفاته)[١٧]

ثم يقص شقيق فائز المتوفى قصة وفاته على موظف البريد الذي ادعى صداقة فائز عبر مزاوجة التنافذ بالاسترجاع كما في النص:(- في مقهى من مقهي الانترنت المنتشرة في المدينة وعلى كيبورد الحاسبة رقم (١٣) وجد أخي منكبا على وجهه وآخر الكلمات على لوحة المحادثة تقول

هالو فائز solaaf200040

هل ما زلت معي ؟

هالو ...!

هالو...!

BUZZ!!!

ثم قال والدموع تترقرق من عينية:

- هذا سريره حيث ينام، وتلك كتبه. وهذه أوراقه .. أنظر ..!)[١٨]

يحاول الكاتب الافادة من تقنية النت ويهجنها بالاسترجاع ليقدم أنموذجه التنافذي في محاولة لابتكار نمط كتابي جديد في السرد، وتلك سمة بارزة في رواية مابعد الحداثة التي مازجت بين الحدث الرقمي والحدث الواقعي، ففي رواية (فيرجوالية) يندمج الاسترجاع مع الحوار الكتابي الفيسبوكي أيضاً، وكذا الموضوع في رواية (تحت سماء كوبنهاجن)، فالرواية تقوم على حوارية استرجاعية، وفي رواية (صفر واحد) نكتشف معالجة الماضي عن طريق توأمة التاريخ بالتقنية وهي بهذا لا تبعد عن الاسترجاع لكن بطريقة مختلفة إلى حد ما، وفي رواية (الصندوق الأسود) لكليزار أنور نكتشف أيضا عمل الكاتبة على نسج الحدث السردي الجديد من خلال مزاوجة التقنية مع الاستذكار، وبهذا تبرز قدرة اللغة على التوليف المؤسس الذي ينتج أنماطاً فكرية على صعيد الأدب.يعد بعض النقاد هذا النوع من الكتابة خروجاً على الكتابة السردية وقد واجهت الكثير من هذه الروايات اعتراضات مبعثها رفض التجريب بهذا الشكل بزعم الانفلات من الثوابت والتقاليد الأدبية والفنية مما حدا ببعضهم أن يطلق عليها (ميتا سرد) كما يرى الناقد فاضل ثامر[١٩]، بيد أن هذا الرأي لا تدعمه حجة نقدية بسبب أن الأدب يتغير على وفق مقترحات الحضارة، وعلى ذلك تنتفي فكرة (الثوابت والتقليد) لتحل محلها فكرة كل أدب يقدم مقترحات كتابته على وفق عصره.تمضي أحداث (لعنة ماركيز) إلى جملة من النهايات الغامضة لأبطال الرواية الذين يحاولون أن يكتبوا رواية حصة كل واحد منهم- فيها- فصل واحد، بيد أن كل واحد منهم ينتهي نهاية مفاجئة وغريبة بموت مجهول يجعل القارئ يبحث عن طبيعة اللغز وراء هذه النهايات، لتنتهي الرواية بنافذة ماسنجر تفسر موت فائز الذي يبقى سؤالا مجهولا طيلة أحداث الرواية.

فالنافذة في سرد الجبيلي تبقي الحدث مشرعا ثمّ يتزايد فيه التوتر ومسافة سؤال القلق ثم يرجع ليفضح النهاية عبر النافذة التي دخلنا منها السرد. أما في رواية (الصندوق الأسود) لكليزار أنور فتتمظهر تقنية النافذة في محادثات

ماسنجر تمهد في بداية الروايةلطبيعة الأحداث التي تتوالى لاحقاً من خلال ثلاث قصص رئيسة، الأولى تسمها الكاتبة بـ (ما قبل) الثانية (المفكرة) الثالثة (ما بعد) إذ تبني الكاتبة الرواية من خلال هجرة أحدى الأدبيات الى سورية بقصد العلاج من العقم، ولكونها مثقفة ولديها اتصالات عديدة ومتنوعة تدأب على فتح إميلها كلما سنحت لها الفرصة لتتفاجأ برسالة من إيميل مجهول بعنوان (blackbox@yahoo.com) (الصندوق الأسود) تزعم كاتبته أنها ارسلت لها مجموعة قصص تشكل في طبيعة علاقاتها رواية، لبطلة تدعى (تيجان) وهي روائية تعيش تجربة إذ يحاول أحد الشبان أن يوقعها في حبه، ويحصل ذلك بيد أن الاستذكار الذي تقوم به يكشف للقارئ أنها تعرضت لمحاولة غش، فحبيبها (ماهر) لم يكن يحبها بل كان قد راهن أصدقاءه على أن يجعلها تحبه، ثم يكشف لها حقيقة الأمر من خلال قرص CD يرسله لها ويوثق فيه اعترافاته، لتتعرض البطلة إلى أزمة ثقة بالرجال بفعل هذه التجربة. إن ما يميز رواية (الصندوق الأسود) هو قدرة الكاتبة على زج تجارب شخصية وقعت في الماضي مع تقنية النت التي تعد وسيط النشر من خلال أرسال القصص إلى أحدى الأدبيات كما أسلف البحث، لينتج لدينا تنافذ يربط بين الماضي والحاضر، وهو قريب مما يمكن أن نصفه بالإسترجاع الرقمي، إذ أن قصص الرواية تقوم على ملفات ماسنجر وأحداث وقعت في الماضي، بيد أن تقسيم الكاتبة لطبيعة القصص ينحو منحى حربيا، تكون الحرب فيه بوصلة للزمن من خلال العنوان(الصندوق الأسود) تلك التقنية التي تدس في الطائرات لتكون شاهدا على رحلة الطائرة بكل تفاصيلها، ومن ثم عناوين القصص الثلاث (ما قبل) وتقصد بذلك ما قبل الحرب، ثم قصة (المفكرة) وتقصد مفكرة أياموقوع الحرب سيما أنها تؤرشف أيام الحرب التي وقعت على العراق عام ٢٠٠٣، ثم قصة (ما بعد) وتقصد بها ما بعد انتهاء الحرب.تبدأ النافذة في (الصندوق الأسود) من حدث رقمي يتأسس عليه حدث أجتماعي، الأول رسالة من شاب إلى فتاة يطلبها للزواج من خلال إيميل وينفذ عبر النت

لينبني على ذلك التنافذ حدث تواصلي يبدأ بالاتصال ثم اللقاء ثم الزواج كما في النص الآتي:

(لم أتزوج كما يتزوج أغلب الناس عن طريق (الخاطبة) أو عن طريق قصة حب! تزوجت بشكل عقلاني جداً وبطريقة راقية ومتطورة، بآخر ما توصل إليه العلم)[٢٠]،(كان ارتباطي عن طريق الانترنت رغم عدم إيماني به كقاعدة ﴿كذا﴾ تؤسس منها أسرة ناجحة)[٢١] .

يلمس الباحث في رواية الصندوق الأسود تداخلاً سردياً بفعل نمو قصتين داخل جسد هذه الرواية الأولى قصة الأديبة التي كانت تعالج العقم في سورية وطبيعة حياتها وزواجها التي تمت عن طريق الانترنت، والثانية قصة الروائية (تيجان) التي تبعث بقصصها بواسطة اميل عنوانه الصندوق الاسود، لتولد القصة الثانية من طبيعة القصة الأولى حتى تكبر الثانية وتسيطر على مجريات الأحداث بثلاث قصص أشار اليها البحث سلفاً.يمضي السرد في الصندوق الاسود بطريقه تشبه السرد الذاتي إذ يتضح ذلك أكثر في قصة المفكرة التي تقول عنها الكتابة (هذه اليوميات كنت أدونها يوما بيوم- وبكل مصداقية وخوف وترقب – لذا ارتأيت أن أقدمها مثلما دونتها دون اضافات وتزويق أدبي، وبلا رتوش، وبلا رتوش، لأني لست وحدي من عاشها، بل ضاق مرارتها شعب بأكمله.)[٢٢] تقوم رواية الصندوق الأسود كلها على مجموعة إيملات ترسلها البطلة تترى لتتشكل الرواية من خلالها، معتمدة على الذاكرة الرقمية في اعادة قراءة القصص من لدن البطلة الثانوية التي تشكل صوت الراوي، إذ ينمو حدث القصص الثلاث قبل الحرب في علاقة (ماهر) (بتيجان) ثم خديعتها وهروبه، ثم الحرب التي تكون طبيعة أحداثها توثيقية فيما يخص وقوع الحرب والدمار، ثم زواج البطلة تيجان من أحد أقربائها والسفر خارج العراق فالعمل في صحيفة في دبي إذ تنشر من خلالها تجربتها مع ماهر لكن بأسم مستعارة، كل هذا يحدث من خلال النافذة التي تفتح للقارئ أفق التتبع الذي يشكل في نهاية المطاف هذا العمل الروائي.

الخاتمة: سعت هذه إلى رصد عينات من الرواية العراقية للكشف عن طبيعة التحولات الشكلية التي تأثرت بها على وفق ما تأثرت به من تقنيات اتصال عزز مكانة الكتابة الروائية بما أن الرواية لا تخضع إلى مقولات مركزية كما يرى الدكتور فيصل دراج، وقد كشف البحث عن بعض التحولات في السمات النوعية للرواية العراقية ما بعد عام ٢٠٠٠، وعلى الرغم أن العينات شابها الكثير من الإشكالات من بعض النقاد الا انها حققت فاعلية التجريب التي بدورها قدمت لنا سروداً جديدة وسمت الرواية العراقية بقدرتها على تجديد نفسها الأمر الذي يبشر بكتابة جديدة.على الرغم أن مصطلح (التنافذ) يترجمه بعض الدراسين عن مصطلح (التناص) الإن أن البحث قصد بالنافذة هي النافذة الحاسوبية التني تنجم عن استعمالات الانترنت وبرامجه الخاصة، ومن خلال هذه البرامج قدم لنا الروائي تقنيات حوارية جديدة، كما في رواية فيرجوالية، وتحت سماء كوبنهاكن .لعل ما قدمه الباحثان هو رصد يقوم على الاستقراء ومحاولة زج وجهات النظر الخاصة، ولذا يمكن أن نقدم تقنية النافذة على أنها مقترح كتابي قيد التجريب، خاض غماره بعض الروائيين العراقيين.

المصادر:

1. ينظر (نظريات السرد الحديث) والاس مارتن – ترجمة حياة جاسم محمد – المجلس الأعلى للثقافة- ط١ – ١٩٩٨ – ص٢٠٢.
٢. نقلاً (البناء الفني في الرواية العربية في العراق) شجاع العاني – دار الشؤون الثقافية – بغداد – ط١ –ج١- ١٩٩٤ - ص١١.
٣. ينظر (مدخل إلى نظرية القصة، تحليلا وتطبيقا) سمير المرزوقي- جميل شاكر-دار الشؤون الثقافية – بغداد-ط١ -١٩٨٦-ص٩٧.
٤. ينظر (البناء الفني في الرواية العربية في العراق) ص١٣. (م . ن) ص١٥.
٦. ينظر (عبد الرحمن الربيعي بين الرواية والقصة القصيرة) علي عبد الرضا – المؤسسة العربية للدراسات والنشر – ط١ ١٩٧٦ ص٧٠.
٧. ينظر (البناء الفني في الرواية العربية في العراق) ص٣٤.

٨. ينظر (مدخل إلى نظرية القصة، تحليلا وتطبيقا) سمير المرزوقي – جمسب شاكر – دار الشؤون الثقافية- بغداد-ط١-١٩٨٦- ص ٩٩-١٠٠.
٩. ينظر (من النص إلى النص المترابط) سعيد يقطين – المركز الثقافي العربي – بيروت لبنان- ط١ – ٢٠٠٥ ص ١٨.
١٠-١١. (فيرجوالية) سعد سعيد – المؤسسة العربية للنشر والتوزيع – بيروت- ط١ -٢٠١٢ – ص٣٢،٧
١٢. (صفر واحد) مرتضى كزار – دار المغرب – ط١ -٢٠٠٦- ص٤٠. ١٣(م.ن) ص ٤٨ .
١٤. (تحت سماء كوبنهاغن) حوراء النداوي – دار الساقي- بيروت- ط١ – ٢٠١٠- ص١٠.
١٥. (م.ن) ص١٢. ١٦ (م.ن) ص١٣.
١٧-١٨. (لعنة ماركيز) ضياء الجبيلي – مطبوعة على نفقة اسيا سيل – ط١-٢٠٠٧ –ص١٨-٢٠
١٩. ينظر (المبنى الميتا – سردي في الرواية) فاضل ثامر - دار المدى للثقافة والنشر – بيروت ط١ ٢٠١٢– ص٨٤.
٢٠. (الصندوق الأسود) كليزار أنور – المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ط١ - ٢٠١٠ - ص١٥.
٢١. (م.ن) ص١٥.
٢٢. (م. ن) ص٦٩.